توطئة

المدرسة تعطى التلميذ والطالب مفاتيح العلم ومقدمات المعرفة؛ تعلمه القراءة والكتابة والحساب، وتضع يده على الخطوط العامة العريضة فى بعض فروع العلوم، أى أنها تقوم بما نسميه بعملية التعليم. أما العلم نفسه وما نسميه بعملية التعلم الذاتى فإنه لا يوجد إلا فى المكتبة؛ تلك المؤسسة التى تقتنى مصادر العلم وتنظمها وتحللها وتدعو القارئ إلى الاستفادة مما تحمله من معلومات، وتهيئ له الفرصة للتعليم الذاتى والولوج إلى عالم رحب فسيح من العلم والمعلومات.

إن الكتاب المقرر يلقن الطالب المعلومات التى قد يفرض عليه استذكارها واستظهارها لأداء الامتحان فيها ثم ينساها بعد ذلك. أما المكتبة فإنها تقدم له فرص البحث عن المعلومات بنفسه وفى مصادر متعددة ومن ثم فإن هذه المعلومات تبقى فى ذهنه ولا تنزع نحو النسيان كما يحدث فى المعلومات المقررة.

وإذا لم نتعلم فن قيادة السيارات فإن سيارات العالم كله بكل أنواعها وفخامتها تصبح عديمة القيمة وبدون أية فائدة. كذلك المكتبات ومصادر المعلومات فيها قد تتحول إلى أدوات صدئة أو إلى زخرف وزينة دون معنى أو فحوى إذا لم يتعلم القارئ كيف يستفيد بكل شئ فيها: كيف يستخدم الفهارس؛ كيف يستخدم الرفوف، كيف يصل إلى الكتاب بين أقرانه عل الرفوف وفى خزانات المكتبة، كيف يستخدم الكتاب ويتعرف على المعلومات الموجودة فيه، كيف يطلب النصح والإرشاد وقت الحاجة إليهما؛ كيف يعد بحثا باستخدام مصادر المكتبة، كيف يعد قائمة ببليوجرافية؛ كيف تطور الكتاب شكلا ومضمونا؛ كيف أصبحت المعلومة وسيلة تقدم وأداة حضارة وتطور.

إلى هذا الهدف يسعى الكتاب الذى نقدمه الآن إلى أمين المكتبة والمعلم دليلاً وللطالب مرشداً إنه ببساطة يعلم المستفيد كيف يستخدم المكتبة ويستفيد من مقتنياتها وكيف يحصل على المعلومات بنفسه ويدخل إلى عالم المعرفة الرحب الفسيح، بعيداً عن جو الفصل الرسمى المحدد بحدود الكتاب المقرر والمناهج المرسومة بدقة.

إن الكتاب يعطى تجربة كاملة لاستخدام المكتبات ومصادر المعلومات بطريقة سهلة مبسطة دون إغراق فى التخصص أو التفاصيل المسهبة؛ إنما بالإحاطة الشاملة. وهو يأتى تتويجا للتلاحم بين النظريات التربوية الحديثة وعلم المكتبات والمعلومات؛ فالتربية الحديثة تجعل من الكتاب المقرر مجرد مصدر واحد من مصادر التعلم، ومجرد خريطة تشير إلى حدود المقرر وخطوطه العريضة والمكتبة تفتح أبوابها لمصادر متعددة فى الموضوع الواحد لينهل منها الطالب معلومات تربو كثيرا على ما يمكن ان يجده الطالب فى الكتاب المقرر. التربية الحديثة تبعد بالتعليم عن التلقين وتدفع به نحو التعلم عن طريق البحوث والتكليفات والمشروعات وهذه جميعا لا يمكن القيام بها إلا فى المكتبات بما تؤمنه من مصادر معلومات غزيرة منظمة بطرق منطقية تيسر الوصول إلى أى منها. التربية الحديثة تذيب الفوارق بين الموضوعات وتطالب بالاستفادة من معلومات أحد المقررات فى مقرر آخر، وفى المكتبة يجد الطالب مجالات المعرفة المختلفة وقد تداخلت وتكاملت فى نسيج واحد، ويتعلم الطالب كيف يستخدم المكتبة وكيف يستخرج المعلومات من بطون الكتب والدوريات وغيرهما، كما يجد كل النصح والإرشاد من المكتبة التى تكمل عمل الفصول وتدعمه. إن جو المكتبة يختلف حتما عن جو الفصل الرسمى المحدد فى إطار مرسوم سلفاً مما يشكل عنصر جذب نحو القراءة الحرة والبحث الذاتى عن المعلومات.

إن العالم يعيش اليوم عصراً يعرف بعصر المعلومات حيث ينشر فيه فى كل سنة نحو مليون كتاب ونصف مليون دورية ومليونين من المواد السمعية البصرية ومليونين من المصغرات الفيلمية ومئات الآلاف من ملفات الحاسب الآلى وأقراص الليزر. ولا يمكن لأى إنسان أن يعيش هذا العصر إلا بصفته وأداته أى بالمعلومات الصحيحة والدقيقة وفى الوقت المناسب.

ولما كانت المكتبات ومراكز المعلومات هى المؤسسات التى تجمع مصادر المعلومات وتنظمها وتحللها وتيسر الافادة منها فإن الدول على اختلاف درجات تحضرها تسعى الآن جاهدة إلى إنشائها وإمدادها بأحدث المعدات والأجهزة والموظفين المؤهلين والمجموعات كى تقوم بوظيفتها خير قيام كما لا تدخر وسعا فى إعداد الكوادر الفنية المؤهلة لادارة هذه المؤسسات الحيوية اللازمة لتقدم الدولة.

إن المكتبة المدرسية هى أول نوع من المكتبات يصادفه المرء فى حياته وتتوقف علاقته بالكتب والمعلومات وفكرته عنها طوال حياته بعد ذلك على علاقته بالمكتبة المدرسية وفكرته عنها وانطباعه عنها وتجربته معها. فإن كانت علاقته بها حسنة طيبة ومتينة؛ كانت تجربته معها سارة ممتعة واستمرت هذه العلاقة وتوطدت مع جميع أنواع المكتبات والكتب فى جميع مراحل حياته المقبلة.

والتلميذ فى جميع مراحل التعليم يحتاج إلى المعلومات المساعدة له فى المقررات الرسمية التى يدرسها كما يحتاج إلى المعلومات التثقيفية والترويحية اللازمة له كى يشق طريقه فى عالم واسع متلاطم ويتجنب الغرق فيه. يحتاج إلى المعلومات التى تجعله يعيش عالمه طولاً وعرضاً وعمقاً؛ عالم المعرفة قوة.

من هذا المنطلق تولى وزارات التربية والتعليم أهمية خاصة لتطوير المكتبات المدرسية التابعة لها باعتبارها قلب العملية التعليمية وبأمين المكتبة باعتباره قلب المكتبة النابض والذى يعمل على تحقيق أقصى استفادة من ذخائرها وثرواتها الفكرية.

إن مبانى المكتبات المدرسية مهما فخمت وأثاثاتها مهما عظمت ومجموعاتها مهما تنوعت وكبرت تبقى جميعها بدون قيمة حقيقية إذا لم يتعلم التلميذ والطالب كيف يستخدمها وكيف يستفيد منها الفائدة العظمى. وفى هذه الفقرة تكمن القيمة الكبرى للكتاب الذى نقدمه اليوم للمدرسة العربية حيث هو منهج فى كيفية الاستفادة من ثروات المكتبة المدرسية وكنوزها.

هذا الكتاب يتعرض بالتفصيل لدور المكتبة المدرسية فى عملية التعليم وعملية التعلم الذاتى ويعرض لمصادر المعلومات الستة التى تستند إليها العمليتان. كذلك يتحدث الكتاب

بشئ من التفصيل عن تنظيم مصادر المعلومات فى المكتبة المدرسية وإعدادها الاعداد الفنى السليم باعتباره أولى خطوات الاستفادة منها. ولما كان أحد أهداف الكتاب الأساسية تعليم التلميذ والطالب أساليب استرجاع المعلومات واستخراجها من مظانها المختلفة فقد تعرض بالتفصيل لهذه الأساليب من وجهة نظر الطالب والمعلم على السواء. كما كان التدريب على إعداد البحوث والقراءة والتلخيص من بين الجوانب الهامة التى ابرزها الكتاب ووفاها حقها.

ولما كان الهدف المطلق هو تدريب التلاميذ والطلاب فى المدارس العربية على استخدام المكتبة ومصادر المعلومات وربطهم بها ربطا حسناً فقد وزعت المادة العلمية فى الكتاب على سنوات الدراسة بدءاً من السنة الأولى الابتدائية وانتهاءً بالسنة الثالثة الثانوية فى برنامج تركيمى مفصل بما يؤكد على أهمية وامكانية استخدام المكتبة المدرسية منذ دخول التلميذ إلى المدرسة وحتى تخرجه منها ومن ثم يصبح استخدامه للمكتبة الجامعية والمكتبة العامة امتداداً طبيعيا ميسوراً، ويصبح الكتاب والمعلومة جزءاً من حياته كلها.

الجيزة ١٩٩٤

أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

استاذ المكتبات والمعلومات